مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد الـ ٦٤، خريف١٤٠١ هـ. ش/ ٢٠٢٢ م؛ صص٤٥-٢٥

دراسة تمظهرات الأنا والآخر في رواية «الربيع والخريف» لحنّا مينة

نوع المقالة: أصيلة

١. سجاد إسماعيلي*[١]٢. عليرضا كاهه‌ء

١.أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الخميني (ره) الدولية، قزوين، إيران.

٢.أستاذ مساعد فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولايت، ايرانشهر، إيران.

تاريخ استلام البحث: ١٤٠٠/١٠/١٢ تاريخ قبول البحث: ١٤٠١/٠١/٢٨

الملخّص

احتفى النقد العربي برصد روايات عُنيت بلقاء الأنا العربية والآخر الغربي، إذ أصبحت دراسة إشكالية الأنا و الآخر من أهم المفاهيم النقدية المتمثّلة في نظرية «ما بعد الكولونيالية». فإذا كان الغرب هو الآخر بالنسبة إلى الشرق، فجسّدت روايات عربية الصراع والصدام القائم بين الغرب والشرق؛ فنظرت إلى الآخر الغربي بنظرة سلبية متوتّرة تمنع التلاقي والترافق؛ كما رسمت بعضها صورة الغرب على أنه ملاك روحاني بعيد عن الأخطاء وتنظر إليه بنظرة ايجابية منفتحة وإلى نفسه بنظرة سلبية أي احتقار. وفي هذا الصدد رواية «الربيع والخريف» للكاتب السوري، حنا مينة تعالج الغرب المتمثّل فى «المحر/ الآخر»، وأوضاعه الاجتماعيَّة والسياسيَّة، وتقارنه بما هو عليه «الواقع العربي/ الأنا». فإنّ هذه الدراسة وفقاً للمنهج الوصفي-التحليلي ومعتمدةً على مفاهيم النقد ما بعد الكولونيالي ترمي إلى الكشف عن موقف الراوي تجاه الأنا العربية المتمثّل في بطل الرواية، والآخر الغربي في رواية «الربيع والخريف». توصّلت الدراسة إلى نتائج يشير أهمها إلى أنّ صوت الأنا العربية المقهورة وصوت الآخر المجري المحبّب يهيمنان على نص الرواية. ويظهر هذا الأمر من خلال الدلالتين المضادتين في عنوان الرواية، وأوصاف البطل عن الأمكنة، ونظرته إلى المرأة الغربية، وشعوره بالغربة المكانية.

الكلمات الرئيسة: ما بعد الكولونيالية، الأنا والآخر، حنا مينة، الربيع والخريف.

*الكاتب المسؤول esmaili@HUM.ikiu.ac.ir

المقدمة

إنّ معالجة قضية الأنا والآخر في النصوص الأدبية عامةً والروايات العربية خاصةً تعدّ من القضايا المهمة التي يهتمّ بها النقاد في الدراسات الأدبية المعاصرة. ظهرت هذه القضية منذ أن نشأت النظرية النقدية المعنونة بما بعد الكولونيالية في أواسط القرن العشرين بهدف تحليل كل ما أنتجته الثقافة الغربية باعتبارها خطاباً مقصدياً يحمل في طيّاته توجّهات استعمارية إزاء الشعوب التي تقع خارج المنظومة الغربية. اهتم النقد ما بعد الكولونيالي بتأثيرات الاستعمار على هوية المستعمَرين أثناء وبعد المرحلة الكولونيالية في النصوص الأدبية. فلذلك يمكن جعل قضية العلاقة بين الأنا والآخر أو الجدلية بينهما ضمن النقد ما بعد الكولونيالي (ميرزايي والآخرون، ١٣٩٧: ٨٦). إنه شكل من أشكال النقد الثقافي وإشكالية الأنا العربية والآخر الغربي تتضح «بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسية والعسكرية، أما علاقة الذات بالآخر من الناحية الثقافية والاقتصادية والتقنية فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها» (حمود، ٢٠١٣: ١٧). وتعتبر الرواية من الفنون التي تجسّد إشكالية الأنا والآخر، إذ تتيح الفرصة لصوت الأنا للتعبير عما يضطرم في الأعماق من مخاوف وآلام وأفكار، فتنطلق في نقد الذات والآخر معاً، كما تعدّ الرواية من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكلّ حقائقها وأوهامها، وتستطيع أن تفتح أمام المتلقي طريق فهم الذات والآخر معاً (المصدر نفسه، ٢٠١٣: ١٤).

فعلى ضوء هذا، برز الآخر الغربي بصفته مؤثراً أدبياً وفكرياً في الرواية العربية حيث نجد روايات عربية عديدة تعالج العلاقة بين الأنا الشرقي والآخر الغربي، إذ تبدأ أغلبية هذه الروايات برحلة يقوم بها البطل الشرقي إلى الغرب وتنتهي بفشل البطل الذي يظهر منبهراً أمام الغرب أو الغربي ويعود إلى وطنه خائباً ومكتسباً رؤية جديدة. تعدّ رواية «الربيع والخريف» للروائي السوري الشهير، حنا مينة من الروايات التي يرتبط كاتبها بمجتمع آخر مكانياً وزمانياً وهو بالتحديد المجتمع المجري الذي عايش أهم مراحله وتفاعل مع مختلف تطوراته (بلبيطة، ٢٠٢٠: ٣١٦)، بطل الرواية رجل شرقي يرحل إلى الغرب ويحدث له أحداث تتعرض هويته للطمس. فمن هذا المنطلق اعتمدت هذه الدراسة على منهج النقد ما بعد الكولونيالي للكشف عن العلاقة القائمة بين الشرق/ الأنا، والغرب/ الآخر في رواية «الربيع والخريف»، وذلك عبر الإجابة عن الأسئلة التالية:

– كيف يطرح الروائي الخطاب الـ «مابعد الكولونيالي» في رواية الربيع والخريف؟

–ما هي تجليات العلاقة بين الأنا، والآخر في رواية الربيع والخريف؟

وللإجابة عن هذين السؤالين استخدمت الدراسة المنهج الوصفي–التحليلي لاستقصاء تجليات الأنا والآخر في نص الرواية و الفرضيات هي:

– طرحت الرواية النقد الثقافي من خلال التقابل الثنائي «الأنا والآخر» ورصد السمات التي يختلف بها الشرق عن الغرب.

– رسمت الرواية الاحتكاك مع الغرب من خلال البطل المغترب الذي يمثّل الأنا، وعانى في مواجهة الآخر الغربي من الشعور بالاغتراب الذاتي والمكاني، والعلاقة غير التصالحية مع المرأة.

خلفية الدراسة

إنّ صورة الغرب في الرواية والقصة العربية قد عولجت باتساع، وفي العقود الأخيرة كثر الاهتمام بالدراسات الروائية التي تعالج علاقة الأنا المتمثّلة في الذات الشرقية بالآخر المتمثّل في الغرب. حصلت بعض هذه الدراسات على نتيجة تفيد بأنّ هناك جدلية صارمة بين الأنا الشرقية والآخر الغربي بحيث تؤثر هذه الجدلية على ذات بطل الرواية؛ على سبيل المثال تظهر بعض النتائج لدراسة معنونة بـ «جدلية الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد للروائي واسيني الأعرج مقاربة في التلقي والتأويل» (٢٠١٥) أنّ واسيني الأعرج ينظر إلى الآخر نظرة إيجابية قائمة على التسامح والحوار الحضاري والسلم كما يصوّر واسيني انفتاح الأنا على الآخر وعدم تعصّبها لدينها وعرقها وجنسها. وحصلت دراسة أخرى بعنوان «فصام الهوية بين أنوثة قاهرة ورجولة مقهورة: قراءة ما بعد كولونيالية في رواية العطر الفرنسي لأمير تاج السر» (٢٠١٨)؛ على أنّ رواية العطر الفرنسي بدءاً بعنوانها تدلّ على الغياب الكبير للشعور بالقهر الاستعماري عند المستعمَر وأشكال الضغينة التي كانت تميّز علاقات المستعمَر بالمستعمِر السابق، وأنّ فصام هوية البطل وعجزه عن امتلاك محبوبته رمز دالّ على عجز الشرق عن امتلاك الغرب وإصابته بما يشبه أعراض مرضى الفصام.

أمّا في مجال روايات حنا مينة فهناك دراسات عالجت رواياته المختلفة بما فيها «المصابيح الزرق»، «الشراع والعاصفة»، «الثلج يأتي من النافذة»... إلخ، وهناك دراسة مرتبطة بالبحث تحت عنوان «تجليات الأنا والآخر في رواية المصابيح الزرق لحنا مينه» (٢٠٢٢) التى ترى أنّ رواية المصابيح الزرق تسحب الصراع الدائر بين الأنا العربية مع الآخر الغربي إلى الأرض السورية، ويظهر شكل الصراع بين الأنا العربية والآخر الغربي عبر الحرب والاستعمار. ولكن بالنسبة لرواية «الربيع والخريف» هناك دراسات قليلة ركّزت على دراستها منها دراسة بليليطة المعنونة بـ «دلالات العتبات النصية في رواية الربيع والخريف لحنا مينة» (٢٠٢٠) التي خلصت إلى أهمية العتبات النصية بما فيها عنوان الرواية ولوحة غلافها وفاعليتها في فهم نص رواية الربيع والخريف. وقد تناول نبيل سليمان في كتاب «وعي الذات والعالم» (١٩٨٥) عدداً من الروايات العربية من بينها رواية الربيع والخريف، لكن الدراسة تكون بشكل عام تلخيصاً لأهم محاور الرواية ومضمونها. يبدو أن موضوع

تمظهرات الأنا والآخر في رواية «الربيع والخريف» لحنا مينة يعدّ موضوعاً جديداً وجديراً بالاهتمام؛ تحاول الدراسة أن تكشف عن زواياه وأشكال ظهوره في النص الروائي.

الإطار النظري للدراسة

مفهوم "الأنا والآخر"

إنّ نظرية «مابعد الكولونيالية» شكل من أشكال النقد الثقافي وتغطّي كل مجالات الثقافة المتأثرة، ماضياً وحاضراً، بالعملية الاستعمارية (سليمان، ٢٠٠٤: ٨٦). يعود الفضل في تحديد مصطلح «مابعد الكولونيالية» إلى كتاب «الاستشراق» لإدوارد سعيد الذي نُشر للمرة الأولى عام ١٩٧٨، ويسعى إلى «تفكيك الحدود والبنيات التي تكرس الهيمنة والسّيطرة والسّطوة، وترسخ علاقات بين قوى غير متكافئة من خلال تقابلات ثنائية مثل "أنا والآخر" و "نحن وهم" و "العالم الأول والثالث" و"الأبيض والأسود أو الأصفر"» (راغب، ٢٠٠٣: ٥٥٠).

تحتلّ قضية الأنا والآخر مكانة كبيرة في الدراسات الأدبية والفلسفية، والفكرية منذ أن شعر الإنسان بضياع هويته والبحث عن ذاته المفقودة أمام الآخر. ففي ضوء هذا كثرت وجهات النظر للفلاسفة والمفكّرين والدارسين حول مفهومي الأنا والآخر نظراً لاختلاف تيّاراتهم الفلسفية والفكرية. إذ يعتقد بعضهم بأنّ الأنا في المجالات الأدبية «تتداخل مع الذات والهويّة والشخصية وخصائصها الثقافية أو النفسية أو الإيديولوجية، وما تشتمل عليها من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وتوتّرات» (حاج علي، ٢٠١٧: ٢٥)، وقد عرّف علم النفس الأنا بأنّها «شعور بالوجود الذاتي المستمرّ والمتطوّر مع العالم الخارجي والاختبارات والتثقّف، ثمّ بالتأمّل والاستبطان» (عبدالنور، ١٩٨٤: ٣٦). يعدّ الوعي من أبرز سمات الأنا ، لأنّها تدرک تصرّفات الإنسان بوصفه فرداً في المجتمع الذي يتفاعل معه. ومن الوعي تنشأ الذات، عبر تأمّلها لأنا أخرى، وتُحدّد سماتها ومدى انسجامها أو انتمائها للمكوّن الثقافي والاجتماعي الذي تنتمي إليه الأنا (خليل الشبلي، ٢٠١٩: صص ١٣-١٤).

فمن هنا تظهر علاقة الأنا بالآخر، والآخر في أبسط صورة «مثيل أو نقيض "الذات" أو "الأنا" و قد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو مابعد الاستعماري وكل ما ستثمر أطروحاتها مثل النقد النسوي والدراسات الثّقافية والاستشراق» (الرويلي، ٢٠٠٢: ٢١). فوجود الآخر يشكّل ضرورة يتحقّق به وجود الأنا وبحضور الآخر تدرك الذات الاختلاف والتمايز الذي تفتقر إليه؛ فتنظر إلى حاجتها فيه. وبتعبير آخر إنّ للآخر «دوراً في تحديد هويتنا ورسم حدودها، فكثيراً ما نحدّد هويتنا من خلال طبيعة علاقات القوة القائمة ونوعيّة الخلافات أو التحالفات ومن خلال نظرة الآخر وتعامله معنا» (بركات، ٢٠١١: ٢٣٦). من جهة أخرى إنّ الآخر

مع اختلافه في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي، يوضّح ملامح هوية الأنا عند التقائهما معاً، وعزلة الأنا عن الآخر تجعلها ذات بعد واحد فيُسرع إليها العطب والجمود، في حين اللقاء معه يمنحها أبعاداً مركّبة تنفتح على أكثر من عالم (حمود، ٢٠١٣: ١٧). ومن هذا المنطلق تُبيّن الدراسات أنّ العلاقات الممكنة بين الأنا والآخر، توجز في: «علاقه التصادم والعداوة، – علاقة نفعية مصلحية لا تتعدّاها إلى غيرها، – علاقة صداقة وتسامح قائمة على الاحترام المتبادل، – علاقة مثاقفة إيجابية أو سلبية» (بوعلام، ٢٠١٥: ٣٢).

ففي مجال علاقة الأنا بالآخر في الرواية العربية، فأثبتت بعض الدراسات أنّ الاحتكاك الحضاري مع الغرب في الرواية العربية برز في ثلاثة مواقف: الأول: التسليم الكامل لأروبا وتقليد سلوكها، منجزاتها العلمية. الثاني: الرفض الكامل لهذا النمط الحضاري؛ لأنّ السير وراءه سوف يدفع إلى التخلي عن القيم والتقاليد. الثالث: النظر في هذا النمط الحضاري واستيعاب الصالح منه، دون أن يغيب الحس النقدي المنطلق من العقيدة الدينية الإسلامية (بمي، ١٩٨٥: ١٧٨). نجد الموقف الأول في بدايات النهضة في أعمال رفاعة الطهطاوي وعلى مبارک و المويلحي التي كان الهمّ الأساسي فيها «هو التزوّد بالمعرفة من ذلک الآخر الغرب الذي لا يمثّل الخصم، وإنّما يمثّل التفوّق الثقافي» (عيد، ١٩٩٨: ٥٦). وفي المراحل التالية نجد أبطال الروايات الوافدين إلى الغرب يمثّلون نمطاً شبه عام للمثقف الشرقي المغترب؛ الذين عانوا بعد الاحتكاک بالغرب صدمة اللقاء بالآخر. وقد تَجسّد هذا الموقف في «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم، و «الحي اللاتيني» لسهيل إدريس، و «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح؛ بحيث استطاع الروائيون طرح هواجس الأنا، ووعيه الذاتي بخلافه الفكري مع الآخر الغربي عند مواجهته إياه.

فقد قام النقد العربي برصد لقاء الأنا العربية والآخر الغربي في الرواية، وهناك اعتقاد بأنّ كلّ سرد روائي يتضمّن بالضرورة أنا وآخر وتحمل الأنا في العالم الروائي شبكة من العلاقات المتقاطعة مع الآخرين، بل أحياناً تتغيّر لتَكون هو أو ذاتاً أخرى مختلفة، وذلك لأنّ الهوية السردية ليست كياناً ثابتاً ومطلقاً وإنّما تحمل سمات النسبية والتبدّل من حال لحال (حاج علي، ٢٠١٧: ٣٤). إنّ الفن الروائي يستطيع عبر إمكاناته السردية أن يتناول أعماق الروح الإنسانية ويدخل إلى عوالم رحبة؛ يتيح الفرصة لصوت الأنا للتعبير عمّا يختلج في نفسه وما يعانيه في الواقع المعيش مثلما يتيح لنا فهم خصوصية الآخر المختلف. إنّ الرواية تجعل المتلقي يعايش تعدد أصوات الشخصيات الروائية، وتطرح فكرة ثقافة ينفتح فيها الإنسان على الآخرين.

المضمون السردي لرواية الربيع والخريف

ترصد رواية «الربيع والخريف» جانباً من حياة الكاتب خلال سنوات المنفى التي قضاها في المجر. «كرم المجاهدي» الذى يمثّل البطل والأنا في الرواية، رجل تجاوز الأربعين من عمره، وهو منفيّ من بلده سورية لأسباب سياسية. إنّه قد توجّه إلى المجر، وأقام في بودابست العاصمة بعد العيش في الصين لخمس سنوات؛ يعمل أستاذاً للأدب العربي في الجامعة وكذلك مساهماً في إذاعة بودابست. تبدأ الرواية بوصف الحيّز المكاني الذي دخل فيه البطل (الأنا) أي المجر، عندما كان جالساً في مقهى «ام كي» في شارع لينين ببودابست، ويراقب الناس والأشياء من حوله. إنّ البطل لا يستطيع أن يرفض الانفتاح على الآخرين، ومن ثمّ يسعى لبناء جسور التفاهم بينه وبين الآخر، فيرتاد المقهى وتجمعه المصادفة في مقهى «إم كي» بـ«بيروشكا» وصديقتها «ماكدا». يتعارفون ولم تلبث العلاقة بين الراوي/ الأنا، و بيروشكا/ الآخر، أن ارتقت إلى محور التواصل والترافق. كرم يحبّ التُحف وقد حوّل بيته إلى متحف شرقي مبهر يشيع جواً رومانسياً؛ ما يُغري بيروشكا بزيارة بيته. يُقبل كرم على التجربة مع «بيروشكا» التي تصغره بعشرين سنة، وهذا الفارق هو الذي يجعله يستنكر الزواج منها. تتّخذ الرواية قضية التلاقي مع المرأة إطاراً لشرح صورة العلاقة التصادمية أو التصالحية بين الشرق والغرب؛ وذات يوم كان كرم في جولة وتاه عن البيت، يصادف سيدة تصطحبه إلى مطعم وإذا بها من أشهر المغنيات في المجر وإسمها «ايرجكا». وكانت اللغة حاجزاً يستعين عليه الرجل والمرأة الثلاثينية بقاموس فرنسي –مجري. تمثّل المرأة أحد الجوانب التي تومىء إلى تلك المفارق بين المجتمعين الشرقي والغربي، فيُحسّ كرم معها لأول مرة بانعدام الذكورية، وبالمساواة في القدرة على القرار. تغيب «بيروشكا» عن مسرح الأحداث حتى نهاية الرواية، عندما يراها كرم وهي تشارك في التظاهر الطلابي إثر اندلاع حرب ١٩٦٧ ويشكرها كرم على سعيها وتأييدها للموقف العربي. إثر هزيمة حرب ١٩٦٧ أصبح كلّ شيء ينهار أمام عيني كرم، فيستقيل من الجامعة، ويوقف برنامجه الإذاعي، ويتهيّأ للعودة إلى الوطن، وفي مطار دمشق يتم إلقاء القبض عليه.

تمظهرات الأنا والآخر في رواية الربيع والخريف

من خلال القراءة الفاحصة في رواية «الربيع والخريف» تمّ التوصّل إلى أنّ العلاقة القائمة بين الأنا والآخر تمظهرت في عنوان الرواية، والأمكنة، والثقافة، وهوية البطل.

الدلالتان المضادّتان في عنوان الرواية

يحظى العنوان بأهمية بالغة في الدراسات النقدية ولا سيّما البحوث الروائية، حيث تزداد أهمية هذا الموضوع خاصة عند السيميولوجيين «باعتباره مصطلحاً إجرائياً ناجعاً في مقاربة النص الأدبي، ومفتاحاً أساسياً يتسلّح به المحلّل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها» (حمداوي، ١٩٩٧: ٩٦). والعنوان هو العتبة التي يلج من خلالها القارىء إلى النص الروائي ويكون له علاقة مباشرة بالمضمون.. (القاضي، ٢٠٠٧: ١٧٤). يتكوّن عنوان رواية «الربيع والخريف» من الفصلين المتضادين للسنة أي "الربيع" و"الخريف". إنّ الربيع كما ذكر في لسان العرب جزءٌ من أجزاء السّنة، فمِن العرب مَن يجعلُه الفَصلَ الذي يُدرِكُ فيهِ التِّمارُ (ابن منظور، لا تا: ١٥٦٣). أما الخريفُ فهو أحدُ فُصولِ السَّنة، وسُمّي خَريفاً لأنّه تُخرَف فيهِ التِّمارُ أي تُجتَنى (المصدر نفسه، ١١٣٨). إذن الربيع والخريف يدلّان على الزمن والطبيعة في النظرة الأولى، فيشعر القارىء من العنوان أنّه أمام رواية يُشكّل التضاد عنصراً رئيساً لها. ولفكّ رموزه يجب مراجعة نص الرواية، إذ في حوار بين كرم وصديقه جورج، ترد هاتان الكلمتان (الربيع والخريف) على لسان كرم عندما يقارن نفسه ببيروشكا قائلاً: «هناك فارق العمر.. شمسها تشرق، وشمسي إلى غياب.. فكّر بهذا يا صديقي.. الربيع والخريف لا يلتقيان» (مينة، ١٩٨٤: ١٨٤). فيمكن اعتبار استخدام هذا العنوان كآلية تفسّر الاختلاف بين الغرب والشرق. إنّ الربيع يدلّ على مجتمع الغرب الخِصب، وفي المقابل، الخريف رمز للشرق المتأزم والمصاب بالتحديّات. فيمكن إطلاق دلالات "الغرب، وبيروشكا، والحرية، والعلم على الربيع، وإطلاق دلالات "كرم، والشرق، والكبت، والجهل" على الخريف حسب دراسة بليليطة (٢٠٢٠: ٣٢٠). تنطوي هذه الضدّية في العنوان على التقليل من قيمة الذات/ الأنا المتمثّلة في الشرق الجدب، وإعلاء قيمة الآخر المتمثّل في الغرب الخصب. وفي تأويل أوسع ومن الناحية الحضارية، يدلّ هذا التضاد على تأكيد التفوّق الأوربي الذي يشرق ويتطور، على الشرق الذي بدأ بالاتجاه نحو الضعف والركود.

تداخل الثقافة بين الأنا الشرقية والآخر الغربي

إنّ الإنسان بشكل عام لا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين، ولا يجدر أن يرى في الهوية تقوقعاً على الذات ويرفض الانفتاح على الآخرين. لأجل هذا يرى إدوارد سعيد أنّ الأفضل ألا نفكّر في أنفسنا فقط، بل أيضا في الآخرين، فنتعاطف معهم، وألا نحاول أن نصنّفهم أو نضعهم في تراتبيات، ممّا يعني ألا نكرّر باستمرار أنّ ثقافتنا أو بلادنا هي الأولى (سعيد، ٢٠١٤: ٣٩٢).

تجسّد رواية الربيع والخريف هذه الرغبة في فهم الآخر، وإقامة العلاقات الودّية معه. وعبر أوصاف الشخصيات الأخرى نفهم أنّ كرماً أصبح باحثاً عن ذات يتجمّع فيها جميع الصفات الظاهرية الإيجابية. فمثلاً يصف الراوي الصفات الجسدية لشخصية جاره ضياء التركي الذي «**فيه شيء من الأبوة. كانت طيبته، بوجهه المريح، وشاربيه المتهدّلين على فمه، تمنح صداقة صدوقة من الوهلة الأولى**» (مينة، ١٩٨٤: ٨٥). وكذلك الحال بالنسبة لجاره الآخر حسن الإيراني الذي يصفه قائلاً: «**كان حسن شاباً في نحو الأربعين، رياضياً، خلوقاً، تعرّف عليه في الصين، ثمّ هاجر قبله إلى المجر بعد أن تزوّج صينية**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٨٥).

يبقى البطل متحيراً ومتردّداً في أن يخضع للافتتان بالغرب والإعجاب بمظاهره الخلّابة أو يلتزم بهويته الشرقية: «**طوال هذه الرحلة كان يردّ بغير شعور على كل إحساس بتآلف بإحساس مضادّ نابع من النفور أن يستكين أو يألف أو يرضى بفكرة العيش طويلاً خارج وطنه. كان الانتماء إلى الوطن دماً في دمه، وكان هذا الانتماء حنيناً إلى البيت، والحيّ، والبحر، والشاطيء، ووجه الأم.. وكان فوق ذلك حنيناً إلى مجهول إلى صدر إلى هالة بدرية إلى ابتسامة ماسية إلى مخلوق غير محدّد غير مجسّد لكنّه موجود ونادر**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٢٠-٢١).

ولكن بعد أيام من البقاء في المجر، تتغيّر أفكار البطل؛ إنّه لا ينزّه الأنا ويحتقر كل من يختلف معه، بل أخذ يَقبل أنّ على المرء الاستسلام أمام القدر، وقضاء أوقات سعيدة، فيستسلم أمام جميع هواياته في الغرب. على سبيل المثال عندما يدخل كرم في تجربة جديدة وتغازل الفتيات في مجلس الغناء في ليلة آخر الأسبوع، نراه لا يشعر بالحرمان والحنين بل يستمتع بأوقاته: «**لم يستشعر كرم أيّما انزعاج من لعبة الفتاة معه. كاد أمام ضحكتها المعابثة أن يطلق ضحكة عالية هو الآخر، لقد خدع وماذا في ذلك؟...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٢٢).

ولكن في المقابل يجب عدم تغافل الوجه الآخر من تداخل الثقافتين العربية والغربية، أي عدم تجاهل التباين في العادات، والمعتقدات، إلى جانب مفارقة الأيديولوجيا عموماً (الرويلي، ٢٠٠٢: ٢١). لهذا السبب قد يبدو الآخر في صورة نقيض "الأنا". يذكّر هيدجي البطلَ بأنّ الأشياء تختلف عندهم في الغرب وعنده في الشرق وهو لايناسب للصداقة مع بيروشكا التي تعيش في المجر: «**أنتَ مشروع عجوز في الأربعين. بيروشكا في العشرين. ربما أقلَ. ليست المسألة مسألة عمر. لكنّك لن تستطيع أن تجلس معها**» (مينة، ١٩٨٤: ٥٥). يُبيّن هذا الكلام وجود عدم التناسق والتشابه بين الثقافتين الشرقية والغربية. في مشهد آخر تلبس بيروشكا الثياب الصينية وتتزيّن بالمجوهرات، وتطلب من كرم أن تلعب دور شهرزاد في قصص ألف ليلة وليلة: «**دعني أتصوّر نفسي امرأة من ألف ليلة وليلة.. أميرة شرقية كما في الحكايات**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ١٣٥). ربّما

تشير هذه العبارة إلى أنّ بيروشكا المجرية كانت تحت الضغط وتتردّد في أن تعيش مع كرم أو تتركه. بعبارة أخرى إنّها وقفت في مفترق الطرق، هل تتمسّك بثقافتها الغربية أو تتحلّى بملامح الثقافة الشرقية المتمثّلة في شهرزاد.

يتكرّر موقف التمسّك بثقافة الآخر أو إهمالها في مشهد آخر ولكن هذه المرّة، كرم هو الذي يتردّد بين البقاء في المجر أو تركها للعيش في وطنه؛ إنّه لا يعرف هل تخضع لطلب بيروشكا أم لا: «**قالت بيروشكا في نبرة تمنٍ: ليتك يا كرم كنت مجرياً. قال كرم: لن أقول لا، ولن أقول نعم أيضاً...**». وتردّ بيروشكا: «**أما أنا فآسفة. ليتك تقيم في المجر وينتهي الأمر. تقيم لأجلي على الأقل**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٢٦٩).

بغضّ النظر عن طبيعة هذه العلاقات التي ظهرت بشكل مفارق أحياناً في موضع تصالح، ومصدر حيطة وحذر في آن واحد؛ نجد أن الرواية قد لجأت إلى بناء جسور التفاهم بين الأنا و الآخر. وفي مشهد الاجتماع الذي نُظّم أمام السفارة الأمريكية في بودابست، نجد تقارباً لوجهات نظر الشخصيات بمختلف الجنسيات حول القضية الفلسطينية ومؤازرة موقف البلاد العربية ضد الصهيونية: «**اقترح الطلاب السوريون أن يخطب كرم ففعل، ثم تلاه آخرون، ولم يُتح لضياء (التركي) وحسن (الإيراني) أن يتكلما باسم بلديهما، وكانت الكلمات كلها تندّد بإسرائيل وأمريكا، وتؤيّد الموقف العربي ضد الصهيونية...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٣١٠). في هذا الموقف نرى أنّ بيروشكا حضرت في هذا الاجتماع وتريد أن تدعم مقاصد كرم السياسية: «**صاح كرم دهشاً وهو يلتفت إلى مصدر الصوت: بيروشكا ماذا جاء بك إلى هنا؟ –الذي جاء بكل هؤلاء الطلاب. حرّضتُ كلّ الطالبات واشتركن في المظاهرة...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٣١٠). رسمَ الكاتبُ، الآخر المتمثّل في الغرب الاشتراكي كداعم للقضية الفلسطينية، وتدلّ مشاركة بيروشكا في المظاهرة المناهضة للاحتلال الصهيوني على أنّها تحاول أن تدعم القضية الفلسطينية التي تهمّ المجتمع الإسلامي، وذلك بسبب تشابك العلاقة بينها وبين كرم والتعرّف على ثقافته.

تمثُّل الأنا والآخر في أمكنة الرواية

تكون العلاقة بين المكان والشخصيات وطيدة بحيث لا يمكن أحدهما التشكل بمعزل عن الآخر، فيقول غاستون باشلار في هذا المجال: «إنّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً، ذا أبعاد هندسية فحسب. فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكلّ ما في الخيال من تحيّز، إنّنا ننجذب نحوه لأنه يكثّف الوجود في حدود تتّسم بالحماية» (باشلار، ١٩٨٧: ٣١). ولكن أحياناً يمكن اعتبار الأمكنة فضاءات مقابل أخرى، أي ثنائية

الضدية بين الأمكنة؛ فتكون الأمكنة مفتوحه/ مغلقة أو أليفة/ غير أليفة. من خلال قراءة الصفحات الأولى لرواية "الربيع والخريف" يظهر جلياً أن الأماكن توصف من منظار البطل بنظرة إيجابية. إنه كان مغضوباً عليه في بلاده الذي خرج منه «**كما آدم من الجنة، مطروداً بغير ذنب**» (مينة، ١٩٨٤: ٢٠). أي بعد تفاقم إحساسه بالغربة لجأ إلى الرحيل إلى خارج وطنه للبحث عن عالم أفضل، فوجد الغرب مكاناً للحرية؛ يحتضن المناضلين أمثاله. فنجده يصف الشمسَ كأحد المظاهر الطبيعية في شارع لينين بالمجر قائلاً: «**وكانت الشمس في شارع لينين الذي يمتدّ نحو الغرب تنسحب ببطء كلفافة حريرية ضخمة. شفّافة ذهبية فرشت كلها ثمّ جرى سحبها على مهل...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ١٩). فالبطل يعتمد على هذا الوصف الجميل للشمس المشرق في شارع لينين ليبدي إعجابه بالمكان الجديد (الغرب) ويعلن عن حبّه لهذه المدينة. إنّ البطل كان في غاية الانسجام مع هذا الغرب الاشتراكي، فبالإضافة إلى الإشادة بجمال بودابست في النهار، هكذا يصف لياليها: «**كان الليل جميلاً. كانت ليلة صيف من ليالي بودابست ومن بيته في شارع بنتزور اوتسا القريب من ساحة الأبطال سار متمهلاً تحت الأشجار الوارفة ينعم ببرودة الليل وأضواء المدينة ومتابعة المتنزهين..**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٢٠). كما يشبّه بودابست بباريس: «**وقال في نفسه: حقّا إنها باريس الصغيرة**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٢٠). يحرص السارد من خلال هذه الأوصاف على الكشف عن الأبعاد النفسية لشخصية البطل في مواجهتها لواقع عاشه؛ إنّه يشعر بالارتياح من العيش في هذه المدينة بملامحها المشرقة التي تعكس النور والضياء وتكون مظاهرها أليفة بالنسبة إليه وتثير إعجابه بها.

يقدّم الكاتب لوحات جميلة لبعض المناظر عبر الحوار الداخلي لكرم مع نفسه. على سبيل المثال حينما يشيد بالفضاء الرومانتيكي في بودابست يقول: «**هذه باريس أخرى. ويضيف: هذه باريس دون شانزليزيه، دون مونمارتر، دون حي لاتيني، لكن لها هي أيضاً شوارعها، وأحياؤها التي لا تقلّ روعة...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٨٦- ٨٧). اختار الكاتب من الأوصاف المكانية لهذه المدينة ما يناسب رؤية البطل ويتكافأ مع تجربته المعاشة. إنّه من ناحية يُبدي سعادته وفرحته من النزهة في الأمكنة المختلفة ببودابست ويقارنها بباريس التي كانت مقصد الفنانين الشرقيين في عصره؛ ذلک للتأكيد على قناعته ورضائه بالحياة في الغرب الاشتراكي الذي يكون محبّباً بالنسبة له. ومن ناحية أخرى توحي هذه التعابير بأنّ البطل يكون مقهوراً أمام المظاهر الفاتنة والخلّابة للمجتمع الغربي/ الآخر.

كراهية الأنا وحبّ الآخر

يقال: «الآخر لا يسلّم نفسه للأنا إلّا إذا خلعته من تاريخه وقطعته عن ماضيه وجرّدته من تراثه وفصمته عن شخصيته الحضارية بل الدينية» (طرابيشي، ٢٠١٣: ١٦٤)، يفيد هذا الكلام على أنّ انجذاب الأنا الشديد نحو الآخر والانسحاب عن الواقع الذي يعيشه، يسبّب في الرغبة الملحة لدى الأنا للابتعاد عن هويته الذاتية والانبهار بالآخر. من خلال التمعّن في أحداث رواية الربيع والخريف يتّضح أنّ البطل يكره ذاته المقهورة أمام الغرب. على سبيل المثال يظهر كرم الإعجاب بالمجر عبر هذه الجملات: «**الروح المجرية مشبعة بحضارة عريقة، تنعكس في تصرّف الناس، من باقة الزهرة التي تحرص سيدة البيت على ابتياعها، وهي تتسوّق خضارها، أو تشتري أيّما غرض لبيتها، إلى التهذيب الرفيع في حالتي الاستقبال والوداع... كما يمكن ملاحظة أناقة الناس، المستوى الجيد لحياتهم، نظافة الشوارع، خلوّها من المتسوّلين...**» (مينة، ١٩٨٤: ١٠٩). فتوحي هذه الجملات بالانجذاب الشديد لدى البطل نحو الآخر أي الغرب، إذ يقارن مستوى الحياة في بودابست بمستوى الحياة في بلده الذي أصبح مضطراً إلى مغادرته. وقد قدّم الراوي جماليات الطريق من خلال مشاعره الخاصة كي يخدم المضمون. فالمجريون يمشون في الشوارع النظيفة سعداء ويتصرّفون بطريقة مهذّبة. وقد أتى ذكر خلوّها من المتسوّلين والمظاهر السلبية الأخرى في إشارة إلى مواجهة البطل هذه المظاهر السيئة في بلده.

يدافع حنا مينة عن الظروف الاجتماعية في المجر على لسان «ضياء» الشخصية التركية حين يشرح لكرم المعاملة السيئة لبنتها مع امرأة عجوز كانت تدير حانوتاً، فيخاطب بنته قائلاً: «**هذه امرأة مجرية. إنها حتّى في هذه السن، تعمل، تدفع الضرائب، تُسهم في بناء المجر، ومن الضرائب التي تدفعها تتعلّمين أنت.. تأكلين أيضاً...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ١١٧). إنّه يشيد بالمجتمع الآخر، ويحطّ من شأن المهاجرين الوافدين إلى المجر؛ ما يدفع كرماً إلى تأييد أفكار ضياء، إذ يقول عبر الحوار الداخلي: «**كل ما قاله ضياء صحيح.... هنا في هذه البلاد، يتصرّفون وكأنّهم أصحاب البيت، الطالب يدرس مجاناً. يأخذ مرتّباً. له بيت، وقسيمة طعام، ولباس.. كل شيء موفور له، ينسى أنه يعيش من جهد سواه...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ١١٨-١١٩). إنّ كرماً بصفته نموذجاً من الأنا العربية يشيد في هذه المقاطع بهذا البلد المضياف، وبمنجزاته وإيجابياته. إنّه يرى أنّ المجر تسير على النهج الصحيح ولا يخفي إعجابه بنظامها الاشتراكي إلى درجة الدفاع عنه ويفضّلها على البلدان الأخرى. وإذا كان هناك نقص فهو يتمثّل في ذات البطل، وفي ذوات العرب والمهاجرين الوافدين إلى المجر. ولا غرابة في ذلك، فإنّه كاتب مقتنع بالاشتراكية وقد ناضل من أجل تحقق العدالة الاجتماعية. إنّ المجتمع الشرقي كما يراه كرم مجتمع يشيع فيه النفاق

الاجتماعي، وفي المقابل يمارس الإنسان الأوروبي الأشياء بشكل صحّي:« **في أوروبا هكذا هي الأشياء صحية أكثر، في الشرق يخلطون هذا بذاك كل حب ممنوع، كل ممارسة مرفوضة... إفعل ما شئت في السر، إذا استطعت الاستتار بقيت شريفاً، نفاق اجتماعي، المجتمع هناك منافق**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ١٦٦).

يقول مصطفى عبدالغني: «لا نستطيع في معرض الحديث عن الذات العربية أن نتجاهل الآخر/ الغرب، سواء بوجهه الإيجابي أو السلبي، فالغرب ليس تراكماً، إنّه ليس كله خيراً، وعندما ننظر إليه كوحدة لا تتعدّد ينتج هذا الفهم المغلوط» (عبدالغني، ١٩٩٤، ٩٢). ولكن البطل يغضّ الطرف عن سلبيات أوروبا ويشعر بأنّ الحياة فتحت آفاقها له فور وصوله إلى الغرب: «**يبدو أن السماء تكافئني.. تفتحُ الجنة لي أبوابها في بودايست. تفتحها واسعة على مصراعيها.. تجدّد شبابي بشكل لعين.. هذا ما يسمّونها حياة...**» (مينة، ١٩٨٤: ١٣٣-١٣٤). أو عندما تسأل بيروشكا من كرم عن وجود موسيقى شرقية لديه يقول: «**أحبّ موسيقى فيلم زوربا.. أحبها جداً.. لدي موسيقى عربية أيضاً.. مقطوعات قليلة**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٥٧). ما أرادت الرواية تكريسه في هذه المقاطع هو مدح أوروبا بأسلوب لا يخلو من الإطراء والإعجاب، وإيجابية العلاقة مع الغرب الاشتراكي/ الآخر، فلذلك نجد كرماً يترافق ويتواصل سريعاً بالحضارة الغربية في المجر، وأصبح يؤمن بالإفادة من روافد هذه الحضارة بحيث اختياره الموقف التصالحي مع الآخر يجعله يحبّ الموسيقى الغربية ويصبح قليل الاهتمام بالموسيقى الشرقية.

نظرة البطل الشرقي إلى المرأة الغربية

تعدّ إقامة علاقات إيجابية مع الطرف الآخر من الوسائل التي تساعد الإنسان على التغلّب على حالته الاغترابية. وفي هذا الصدد يمكن اعتبار الحبّ منهجاً تعويضياً يعتمده المغترب للخروج من عزلته. من هذا المنطلق يميل بطل الرواية نحو إقامة العلاقة مع المرأة في الغربة ولكنه في البداية عندما يتعرّف على بيروشكا وصديقتها يخجل من قضاء الوقت معهما: «**حلا له أن يسأل الفتاتين نزهة في الغابة المجاورة، بيد أنّه وجد السؤال محرجاً**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٥٤). لأنّه لم يجرّب هذا الأمر في الشرق بشكل عام، ولكن في المجر يختلف الأمر: «**كلّ شيء في المجر يبدو مغايراً لما عرفتَه في بكين. هنا المجتمع مفتوح، والتعصب المذهبي لا أثر له، وتستطيع منذ أسبوعك الأول، أن تتخذ أصدقاء من المجريين، وأن تدخل بيوتهم**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٣٥). فيجد كرم أنّ المجتمع هناك مفتوح والغريب لا يبقى غريباً؛ لأنّ الحياة الاجتماعية تشدّه إليها.

إنّه يتفاجأ بأنّ بثّ العلاقة مع النساء في الغرب أسهل بكثير من الشرق. على سبيل المثال عندما يدخل في المقهى لقضاء الوقت، يواجه إمرأة جالسة بمفردها خلف الطاولة فيتخذ مقعداً قريباً منها و يبدأ بالتحدّث معها ويدعوها كي يشربا معاً: «**هل لدى آنستي مانع لو جلستُ إلى طاولتها؟ أجابت ببرودة: تستطيع لو أردتَ...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٣٩-٤١). إنّ إقامة الحوار مع الفتاة المجرية وشُرب النبيذ معها في المقهى يصبح شيئاً مألوفاً بالنسبة للبطل، وتتوسّع العلاقة لحدّ دعوتها إلى منزله لسماع الموسيقى، وشُرب القهوة: «**قالت بيروشكا: –صديقتي تهمّ بالموسيقى. –لو كان لديكما بعض الوقت، لكنت سعيداً بسماع بعض الموسيقى معكم في بيتي. – وهل هذا ممكن؟ – لماذا لا؟ – أعني هل تستقبلنا في بيتك؟ – بل أرحّب...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٥٧). الذات العربية التي يقدّمها الكاتب تتمثّل في شخصية كرم، فهو واحد من المثقفين العرب الذين دخلوا في بلاد الغربة طلباً للعلم والأدب. والسؤال المطرح هو كيفية ردّ فعل المثقف الآتي من المجتمع الكولونيالي في الحواضر الغربية؟ إنّ بطل رواية «الربيع والخريف» يمثّل المثقف الشرقي الذي يدرك أنّ شيئاً ما بداخله يدعوه إلى التمتّع والتلذّذ في بلاد الغرب. هناك جنون مضمر بداخله يفتّت أعصابه ويعذّبه، ويرغمه على اللجوء إلى الخمرة والمرأة، إذ يقول في نفسه: «**أنت سائح في بلاد السياح الجميلة هذه. تمتّع. اشرب قليلاً، تحامل على نفسك...**» (مينة، ١٩٨٤: ١٠٣). لكنّ كرماً يعيش في حالة تردّد بين التمتّع بالملذات والرغبة في تعذيب النفس ويتحدث عن نفسه بأنّه صاحب ضمير، وسلوكه لن ينحطّ إلى درجة التغرير بالفتيات؛ إنّه صاحب مبدأ ومن أجله تشرّد عن وطنه (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٨٢).

إنّ كرماً في هواجسه أثناء لقاء بيروشكا يعلن عن نفسه كمتحرّر من عقدة الذكورية الشرقية؛ «**إنّه لا يبحث عن انتصار بالعلاقة مع الآخر**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٤٣)، رغم كون ذلك بمقدوره. يُقبل البطل على التجربة مع بيروشكا التي تذكّره بأنّه يعاملها كجارية وتقول لكرم: «**تقول لي: يا أميرتي! وتعاملني كجارية.. هل هذا سلوك لائق؟ ألا تراه سلوكاً يليق برجل شرقي... أنا لن أكون جارية**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ١٣٧-١٣٨). المتأمل في كلام بيروشكا يجد أنّ الصورة التي تقدّمها عن الرجل الشرقي سلبية وذلك نتيجة سلوك كرم الذي يتأرجح بين مواصلة علاقته مع بيروشكا والرغبة في قطع هذه العلاقة بعد مدة. وفي تعميم الكلام ونعت الرجل بكلمة الشرقي بصفة عامة ربّما إشارة إلى التّصورات التي تتردّد في أذهان الغرب/ الآخر عن الرجل الشرقي. إذ لا يخفى أنّ الثقافة الغربية قد هضمت الشرق على حد تعبير إدوارد سعيد، وقد قيل بأنّ الاستشراق كان من بين الوسائل المحدّدة التي حقّقت هذا الهضم (سعيد، ٢٠٠٦: ٣٨٨). وهذا التصوّر هو الذي يجعل بيروشكا تشعر بأنّ الرجل الشرقي المتمثّل في كرم، يعامل المرأة بطريقتين: يمدحها ويصفها بالأميرة لكنّه في نفس الوقت

يتحكّم على المرأة؛ ويريد فرض سلطته عليها. لكن بيروشكا بصفتها نموذجاً للمرأة الغربية تذكّره بأنّها تريد تحديد نوعية العلاقة، وترفض وجهة نظر البطل الذكورية. لعلّ هذا التنافر والاختلاف بين الرؤيتين يدفع كرماً وبيروشكا نحو قطيعة العلاقة بينهما. إنّهما رغم العلاقة الحميمة يعيشان على غير وفاق؛ هي تريد الاقتراب منه ولكنّه يخاف من هذا الحبّ، ويضع حدّاً له.

تنسحب بيروشكا من الساحة حين يتعرّف البطل على ايرجكا، الفنانة التي التقاها مصادفة. إنّ كون هذه المرأة فنانة يجعل كرماً بصفته مثقفاً أكثر حرصاً على التقرّب إليها. إنّها على حدّ تعبيره: «**تتعامل بفعل جسارة، مع واقع آخر، جديد، ومن منطلق التحدّي، لا بصفتها فنانة، بل بصفتها إنسانة تعلو على قيم الاستبداد المتوارث...**» (مينة، ١٩٨٤: ٩٨). وفي موضع آخر يقول في نفسه عنها: «**فنانة هي، كل ما في تصرّفاتها يدلّ على اعتداد بالنفس، بالفن، بالزّهو الداخلي**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ١٠٢). إنّه يجدها معتدّة وواثقة بنفسها، وقادرة على اتخاذ القرار والتصرّف بطريقة أحادية وهذا ما يجعل البطل معجباً بها. إنّ الكاتب يفسح المجال للمرأة الغربية كي تبدي وجهة نظرها من خلال محاورة البطل أو عبر الحوار الداخلي للبطل. إنّه يرصد السمات التي تختلف بها المرأة الشرقية عن المرأة الغربية، ويطرح أفكار المرأة الغربية التي تُمثّل وجهاً آخر من الغرب، إذ تريد إثبات ذاتها والتأكيد على تساوي حقوقها مع الرجل في المجتمع.

الغربة المكانية عند البطل الشرقي

يعدّ المكان من المكونات الحكائية التي تشكّل بنية النص الروائي وله دور مركزي داخل منظومة الحكي، إذ إنّه «يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد» (بحراوي، ١٩٩٠:: ٢٦). المكان الذي تجري فيه أحداث رواية الربيع والخريف، هو المجر التي سحرت عقل البطل وأسرت قلبه. أما الأماكن التي يتواجد فيها البطل فهي مختلفة: مقهى إم كى، البيت، الحديقة، شوارع مدينة بودابست. ولا ريب أنّ للمكان أثراً في التعبير عن هوية الكاتب الروائي والشخصيات التي يرسمها. فالحياة الإنسانية خلاصة الظروف والبيئة والعادات ونتيجة ذلک نجد الكثير من الكتّاب يحاولون التعبير عن تمسّكهم بهويّتهم من خلال وصف المكان، خاصة إذا كانوا مقيمين بصورة قسرية أو اختيارية خارج المكان الذي ألفوه (خليل، ٢٠١٠: ١٤١).

وقد جاء الوصف المكاني لمدينة بودابست من خلال نفسية كرم المضطرة والمغتربة. إنّه بالرغم من تمتّعه في المجر بأنواع اللذائذ ومظاهر الترف يشعر في نهاية المطاف بالغربة المكانية ويحنّ إلى وطنه في

الشرق: «**أحبّ المرأة والشراب والرقص.. لكنني لا أستطيع أن أكون خارج جلدي.. لا أقوى على احتمال هذه الغربة التي طالت ومهما عرفتُ من نساء، يبقى هناك في داخلي فراغ...**» (مينة، ١٩٨٤: ٣٥).

إنّ البطل يشعر بالعزلة وعدم القدرة على التكيّف مع ظروف الحياة في الغرب ويحنّ إلى العودة إلى موطنه في الشرق. وفي مقاطع أخرى من الرواية نرى أنّ كرماً بعد مدة يشعر بأنّه غير قادر على مجالسة الناس في المجر ويفضّل الانعزال، وبالتالي أصبح غير مدرک لمعنى الحبّ: «**ظلّ حيال كل شيء لا مبالياً. ظلّ مصمتاً من الداخل، كأنّه لا يملک عاطفة...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٦٢). يبدو أنّ الشعور بالغربة لدى البطل بلغ إلى درجة يمكننا أن نستشفّ بأنّه غير راضٍ عن واقعه ويكون اغترابه نابعاً من التعايش في الغربة. إنّه يرى أنّ العودة إلى الوطن رغم كل الظروف التي يتعايش معها، أفضل بكثير من البقاء في هذه الغربة المكانية: «**الغربة أقسى من كلّ شيء.... لكنّني وبرغم كل الظروف، سأكون سعيداً في الوطن أكثر.. هناك أرضي وبيتي...**» (المصدر نفسه، ١٩٨٤: ٣٢٧). يعبّر الراوي عن إحساس البطل بالاغتراب، وما رافقه من شعور بعدم الانتماء الحقيقي للمكان الذي يعيش فيه. إنّ الوطن يكون مكاناً غائباً وغير مجسّد في الرواية، لكنّ وجوده يكون حاضراً في أغلب الأحيان على المستوى الذهني لشخصية البطل، وهذا يعني تبنّي الكاتب لمقولة ضرورة وعي الذات والحفاظ على الهويّة أمام التحدّيات التي تواجهها. إنّ التفاعل مع الآخر قد أفضى إلى تعميق الرؤية الذاتية لدى شخصية البطل. إنّه يُحس بأنّ ثمّة ما يهدّد وجوده ويريد تأكيد ذاته والبحث عن شيء أصيل كامن في أعماقه. إذن التأزم النفسي للبطل المغترب، وعدم قدرته على الاستمرار و التعايش في الغربة لا يترک له خياراً آخر سوى العودة إلى الوطن.

النتائج

من خلال العرض السابق يمكن استنتاج النقاط التالية:

– يتجلّى صوت الأنا العربية المقهورة وصوت الآخر المجري المحبّب في نص رواية الربيع والخريف. ويظهر هذا من خلال الدلالتين المضادتين في عنوان الرواية وأوصاف البطل عن الأمكنة، ونظرته إلى المرأة، وشعوره بالغربة المكانية.

– يحمل عنوان الرواية "الربيع والخريف" دلالتين مضادتين تشيران إلى أنّ الربيع يدلّ على الغرب المتطور والمشرق/ الآخر، والخريف رمز للشرق المهزوم والمأزوم/ الأنا.

– ترسم الرواية مساراً إيجابياً مع الآخر/ الغرب الاشتراكي؛ لأنّ الكاتب مقتنع بالاشتراكية ولذلك نجد أنّ البطل الذى يمثّل الأنا، وجد فرصة لطرح رؤيته الخاصة عن اللقاء بالآخر الغربي دون أن تهتمّ بممارسة نقده. إنّه لا يعاني أي تناقض وتصادم مع الآخر/ المجري، فيقيم علاقات الصداقة مع الشخصيات المجرية.

– فيما يتعلّق بعلاقة الأوصاف المكانية مع الأنا والآخر، أظهرت الأوصاف أنّ الأماكن الغربية التي يصفها البطل محبّبة وأليفه عنده. إنّ الأوصاف الجميلة الحسّية عن الأماكن التي يتجوّل فيه البطل كالشوارع، والحوانيت تقدّم صورة نمطية عن الآخر الغربي، إذ يشيد الكاتب بجمال المجر الاشتراكية ويفصح عن إعجاب البطل بمظاهر الغرب وبمنجزاته في مواضع كثيرة.

– بالنسبة إلى قضية المرأة في الرواية، يمكن القول بأنّ المرأة أحد الجوانب التي تشير إلى الاختلاف بين الشرق والغرب. إنّ البطل يقوم بالمقارنة بين سلوك النساء في الغرب والشرق، ويرى أنّ المرأة الغربية تطمح إلى تحقيق جميع حقوقها وتطلب معاملتها باحترام في العلاقة مع الرجل. ولكنّ الحال بالنسبة إلى المرأة الشرقية يختلف، إذ إنّها تعيش في مجتمع يكثر فيه النفاق الاجتماعي ولا تجد المساواة في حقوقها مع الرجل.

– إنّ الأنا المتمثّلة في البطل مع كلّ ما استمتع به في الغرب، يعاني قلقاً وجودياً وينخره إحساس بالغربة المكانية. إنّ التفاعل مع الآخر الغربي جعله يعي واقعه بمعزل عن المؤثرات الغربية، ويفهم أنّ عليه أن يبحث عن ذاته وهويته المفقودة ويقرّر العودة إلى الوطن.

المصادر

الكتب

- ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (لا.ت)، **لسان العرب** (مادة ربع وخرف)، المجلدان الثاني والثالث، الجزءان ١٤ و١٨، القاهرة: دار المعارف.
- باشلار، غاستون، (١٩٨٤)، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، الطبعة الثانية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- بحراوي، حسن، (١٩٩٠)، **بنية الشكل الروائي**، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- بركات، حليم، (٢٠١١)، **غربة الكاتب العربي**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الساقي.
- حمود، ماجدة، (٢٠١٣)، **إشكالية الأنا والآخر؛ نماذج روائية عربية**، كويت: عالم المعرفة.
- خليل، إبراهيم، (٢٠١٠)، **بنية النص السردي**، الطبعة الأولى، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- خليل الشبلي، إبراهيم، (٢٠١٩)، **الذات والآخر في الرواية السورية**، الطبعة الأولى، عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع.
- راغب، نبيل، (٢٠٠٣)، **موسوعة النظريات الأدبية**، الطبعة الأولى، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان.
- الرويلي، ميجان؛ البازغي، سعد (٢٠٠٢)، **دليل الناقد العربي**، الطبعة الثالثة، دار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- سعيد، إدوارد، (٢٠٠٦)، **الاستشراق**، ترجمة محمد عناني، الطبعة الأولى، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- سعيد، إدوارد، (٢٠١٤)، **الثقافة والإمبريالية**، ترجمة كمال أبوديب، الطبعة الرابعة، بيروت: دار الآداب.
- طرابيشي، جورج، (٢٠١٣)، **الأعمال النقدية الكاملة: شرق وغرب، رجولة وأنوثة**، المجلد١، الطبعة الأولى، دبي: دار مدارك.
- عبد الغني، مصطفى، (١٩٩٤)، **الاتجاه القومي في الرواية**، كويت: عالم المعرفة.
- عبد النور، جبّور، (١٩٨٤)، **المعجم الأدبي**، الطبعة الثانية، بيروت: دار العلم للملايين.
- القاضي، عبد المنعم زكريا، (٢٠٠٧)، **البنية السردية في الرواية**، الطبعة الأولى، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية.
- مينة، حنا، (١٩٨٤)، **الربيع والخريف**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآداب.

الرسائل والاطروحات

- بوعلام، صوافي، (٢٠١٥)، محدّدات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، أطروحة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر.
- حاج علي، مازية، (٢٠١٧)، الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، أطروحة الدكتوراه في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، سكرة.

المجلات

- بليليطة، نصيرة، (٢٠٢٠)، «دلالات العتبات النصية في رواية الربيع والخريف لحنا مينة»، ***مجلة آفاق علمية***، المجلد ١٢، العدد ٤، صص ٣٣١–٣١٥.
- بحي، عصام، (١٩٨٥)، «أيديولوجيا المصالحة في قنديل أم هاشم وموسم الهجرة إلى الشمال»، ***مجلة فصول***، المجلد ٥، العدد ٤، ١٧٧–٢٠٢.
- حمداوي، جميل، (١٩٩٧)، «السيميوطيقا والعنونة»، ***مجلة عالم الفكر***، المجلد ٢٥، العدد ٣، صص ٧٩–١١٢.
- سليمان، خالد، (٢٠٠٤)، «في أدب ونقد مابعد الكولونيالية»، ***مجلة علامات***، المجلد ٥٤، العدد ١٤، صص ١٢٧–٨٦.
- عيد، رجاء، (١٩٩٨)، «لقاء الحضارات في الرواية العربية»، ***مجلة فصول***، المجلد ١٦، العدد ٤، صص ٥٦–٧٧.
- غافلي، مصطفى، عرفت بور، زينه، معصومه نعمتي قزويني، (٢٠٢٢)، «تجلّيات الأنا والآخر في رواية المصابيح الزرق لحنّا مينه»، ***مجلة آفاق الحضارة الاسلامية***، السنة ٢٤، العدد ٢. صص ٢٣٥–٢٧٨.
- ميرزايي، فرامرز، جزائري راد، بشرى، برويني، خليل وهادي نظري منظم، (١٣٩٧)، «فصام الهوية بين أنوثة قاهرة ورجولة مقهورة: قراءة ما بعد كولونيالية في رواية "العطر الفرنسي" لأمير تاج السرّ»، ***مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها***، السنة ٩، العدد ٢٧، صص ٨٥–١٠٤.

References:

Books:

- Ibn Manzoor, A, (No. Date), **Lisan Al-Arab** (Madato Rabaa & kharafa), Volumes Two and Three, Parts 14 and 18, Cairo: Dar Al Maaref. In Arabic.
- Bashrar, G, (1984), **The Aesthetics of Place, translated by Ghaleb Halsa**, second edition, Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution. In Arabic.
- Bahrawi, H, (1990), **The Structure of the Narrative Form**, first edition, Beirut: The Arab Cultural Center. In Arabic.
- Barakat, H, (2011), **The Exile of the Arab Writer**, first edition, Beirut: Dar Al-Saqi. In Arabic.
- Hammoud, M, (2013), **The Problem of the Ego and the Other, Arab Novel Models**, Kuwait: The World of Knowledge. In Arabic.
- Khalil, I, (2010), **The Structure of the Narrative Text**, first edition, Beirut: Arab House of Science Publishers. In Arabic.
- Khalil Al-Shibli, I, (2019), **The Self and the Other in the Syrian Novel**, first edition, Amman: Dar Al-Fafa'at for Publishing and Distribution. In Arabic.
- Ragheb, N, (2003), **Encyclopedia of Literary Theories**, first edition, Cairo: The Egyptian International Publishing Company - Longman. In Arabic.
- Al-Ruwaili, M. & Al-Bazghi, S. (2002), **The Arab Critic's Guide**, third edition, Dar Al-Bayda: The Arab Cultural Center. In Arabic.
- Saeid, E, (2006), **Orientalism**, translated by Muhammad Anani, first edition, Cairo: Royah for publication and distribution. In Arabic.
- Saeid, E, (2014), **Culture and Imperialism**, translated by Kamal Abu Deeb, fourth edition, Beirut: Dar Al-Adab. In Arabic.
- Tarabishi, G, (2013), **The Complete Critical Works: East and West, Masculinity and Femininity**, Volume 1, First Edition, Dubai: Dar Madarak. In Arabic.
- Abdol-Ghani, M, (1994), **The national trend in the novel**, Kuwait: The World of Knowledge. In Arabic.
- Abdel Nour, J, (1984), **Literary Dictionary**, second edition, Beirut: House of Science for Millions. In Arabic.
- Alqazi, A, (2007), **the narrative structure in the novel**, first edition, Cairo: Ain for Human and Social Studies and Research. In Arabic.
- Minah, H, (1984), **Al-Rabie Va Al-Kharif**, first edition, Beirut: Dar Al-Adab. In Arabic.

Theses:

- Boualem, S, (2015), Determinants of the Ego and the Other in the New Algerian Novelist, PhD thesis in Arabic literature, wahran University, Algeria. In Arabic.

- Haj Ali, M, (2017), Identity and Narrative of the Other in Ghassan Kanafani's Novels, PhD thesis in Arabic Language and Literature, Muhammad Kheidar University, Soukra. In Arabic.

Journals:

- Belelita, N, (2020), "The Signs of Textual Thresholds in the Novel of Al-Rabie Va Al-Kharif by Hanna Minah", ***Afaq Al-Ilmiyya Journal***, Vol. 12, No. 4, pp. 331-315. In Arabic.
- Bahi, O, (1985), "The Ideology of Reconciliation in the Qandil of Umm Hashim and the Mosem Al-hijrah ela Alshomal", ***Fosoul Journal***, Vol. 5, No. 4, 177-202. In Arabic.
- Hamdawi, J, (1997), "Semiotics and Addressing", ***Alam Al-Fikr Journal***, Vol. 25, No. 3, pp. 79-112. In Arabic.
- Suleiman, Kh, (2004), "On Postcolonial Literature and Criticism", ***Alamat Journal***, Vol. 54, No. 14, pp. 86-127. In Arabic.
- Eid, R, (1998), "The Encounter of Civilizations in the Arabic Novel," ***Fosoul Journal***, Vol. 16, No. 4, pp. 56-77. In Arabic.
- Ghafeli, M, Erfat Pour, Z, Nemati Qazwini, M. (2022), "The manifestations of the Ego and the Other in the Novel of the Blue Lamps by Hanna Mina", ***Journal of the Horizons of Islamic Civilization***, Year 24, No. 2. pp. 235-278. In Persian.
- Mirzaei, F, Jazaeri Rad, Bushra, Parvini, Kh & Nazari Munazzam, H. (1397), "Identity schizophrenia between forced femininity and oppressed masculinity: a post-colonial reading in the novel "French Perfume" by Amir Taj El-Sir, ***Journal of Studies in Arabic Language And literature***, Year 9, Issue 27, pp. 85-104. In Persian.

بررسی جلوه‌های «خود و دیگری» در رمان «الربیع و الخریف» اثر حنّا مینۀ

نوع مقاله: پژوهشی

۱. سجاد اسماعیلی، ۲. علیرضا کاهه‌ء

۱.استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه بین المللی امام خمینی (ره)، قزوین، ایران

۲.استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه ولایت، ایرانشهر، ایران

چکیده

موضوع خود و دیگری از جمله موضوعات مهمی است که در رمان‌های عربی مطرح شده و در حیطه نظریه پسا استعماری گنجانده می شود. از این منظر برخی از این رمان‌ها تقابل میان غرب و شرق را به تصویر کشیده‌اند و غرب را به عنوان دیگری به صورت منفی ارائه کرده‌اند اما بعضی رمان‌ها این دیگری را به دور از اشتباه معرفی میکند و نگاهی مثبت به او و نگاهی تحقیر آمیز نسبت به خود دارد. رمان «الربیع و الخریف» اثر حنّا مینۀ، نویسنده سوری، این دیگری را در کشور مجارستان و اوضاع سیاسی و اجتماعی آن به تصویر کشیده است و آن را با من که همان شخصیت عربی است مقایسه کرده است. پژوهش حاضر با تکیه بر مفاهیم نقدیِ پسا استعماری و روش توصیفی تحلیلی به بررسی موضعگیری این نویسنده سوری در قبال منِ عربی و دیگریِ غربی در رمان «الربیع والخریف» میپردازد و به دنبال پاسخ به این پرسش است که نگاه قهرمان داستان به خود و دیگری چگونه است؟ برخی از یافتههای این پژوهش نشان میدهد که قهرمان داستان تصویری منفی از خود/عربی و تصویری مثبت از دیگری/غربی ارائه می کند، به طوری که این موضوع در عنوان دلالتمند رمان، توصیفات مربوط به مکان، نوع نگرش به زن غربی و احساس غربت قهرمان نمود پیدا کرده است.

کلیدواژه‌ها: پسا استعمار، خود و دیگری، حنا مینه، الربیع والخریف.

* نویسنده مسئول esmaili@HUM.ikiu.ac.ir

The Study of “The I and the Other” in Hanna Mina's Novel "Al-rabie Va Al-kharif"

Article Type: Research

sajjad Esmaili*[1], Alireza Kaheh[2]

[1.] Assistant Professor at the Department of Arabic Language and Literature at Imam Khomeini International University, Qazvin, Iran

[2.] Assistant Professor, department of Arabic language and literature, Velayat University, Iranshahr, Iran

Abstract

The issue of “The I and the Other” is one of the important issues dealt with by the Arab novel in general and the Syrian novel in particular, as it has become one of the most important critical concepts represented in post-colonialism. There are narrations that embody the conflict and clash between the West and the East, looking at the West with a negative view, as some of them paint the image of the other as a spiritual angel far from mistakes and look at him with a positive and open view and at himself with a negative view, that is, contempt. In this regard, the novel "Al-rabie Va Al-kharif" by the Syrian writer "Hana Mina" deals with the West represented by "Hungary / the Other", and its social and political conditions, and compares it with what it is "Arab Reality /I". Based on the foregoing, this study, according to the concepts of post-colonial criticism and the descriptive-analytical approach, aims to reveal the narrator's position, represented by the protagonist of the novel, towards the Arab ego and the Western one in the novel "Al-rabie Va Al-kharif". The study came up with results, the most important of which indicates that the voice of the oppressed Arab I and the voice of the beloved Hungarian Other dominate the "Al-rabie Va Al-kharif" novel. This appears through the two opposite indications in the title of the novel and the hero's descriptions of places, his view of women, and his feeling of spatial alienation.

Keywords: Postcolonialism, “The I and the Other”, Hanna Mina, "Al-rabie Va Al-kharif".

*Corresponding Author esmaili@HUM.ikiu.ac.ir